ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

القدوس

العمل الطيب



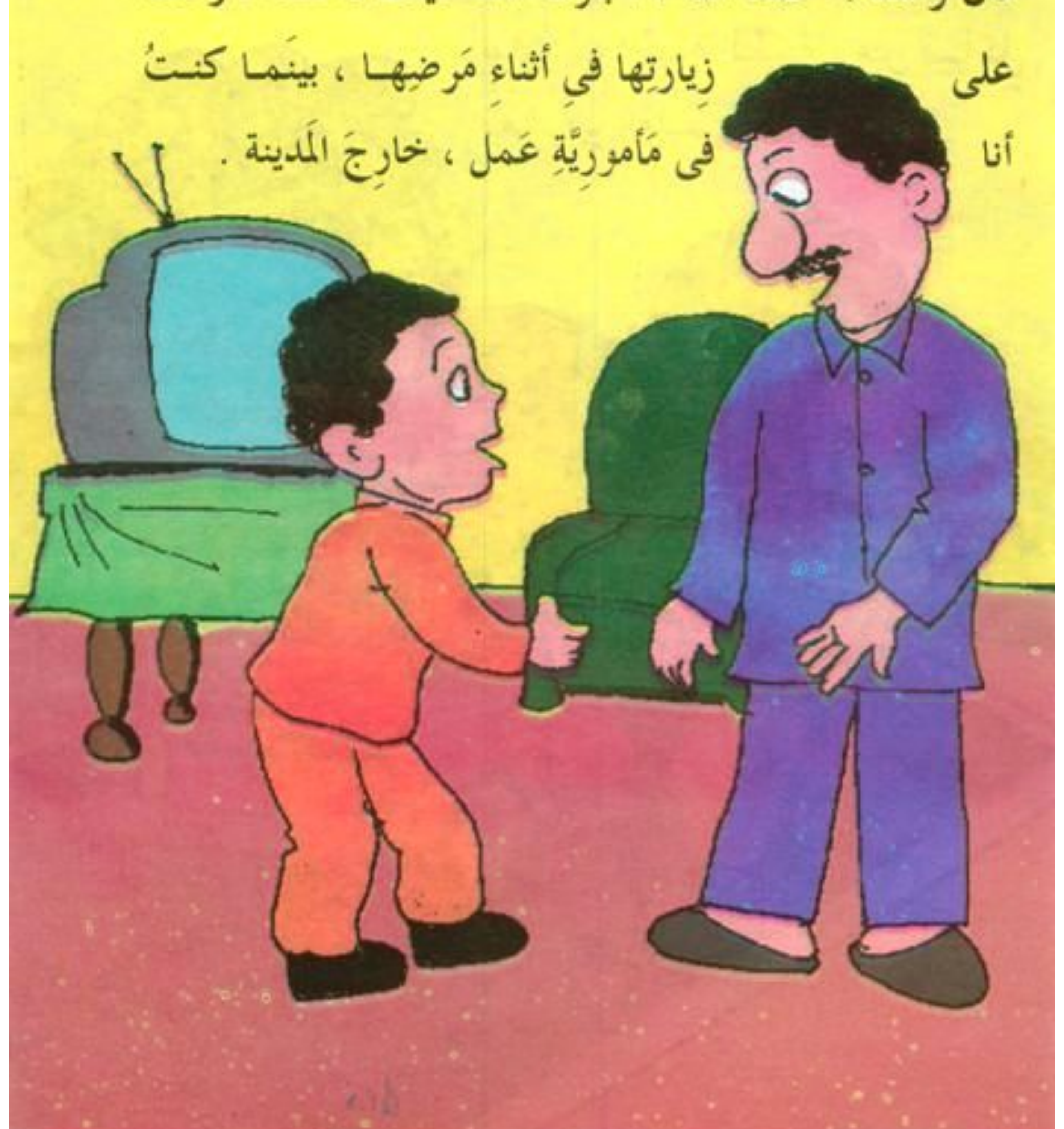
بقلم ورسوم : شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

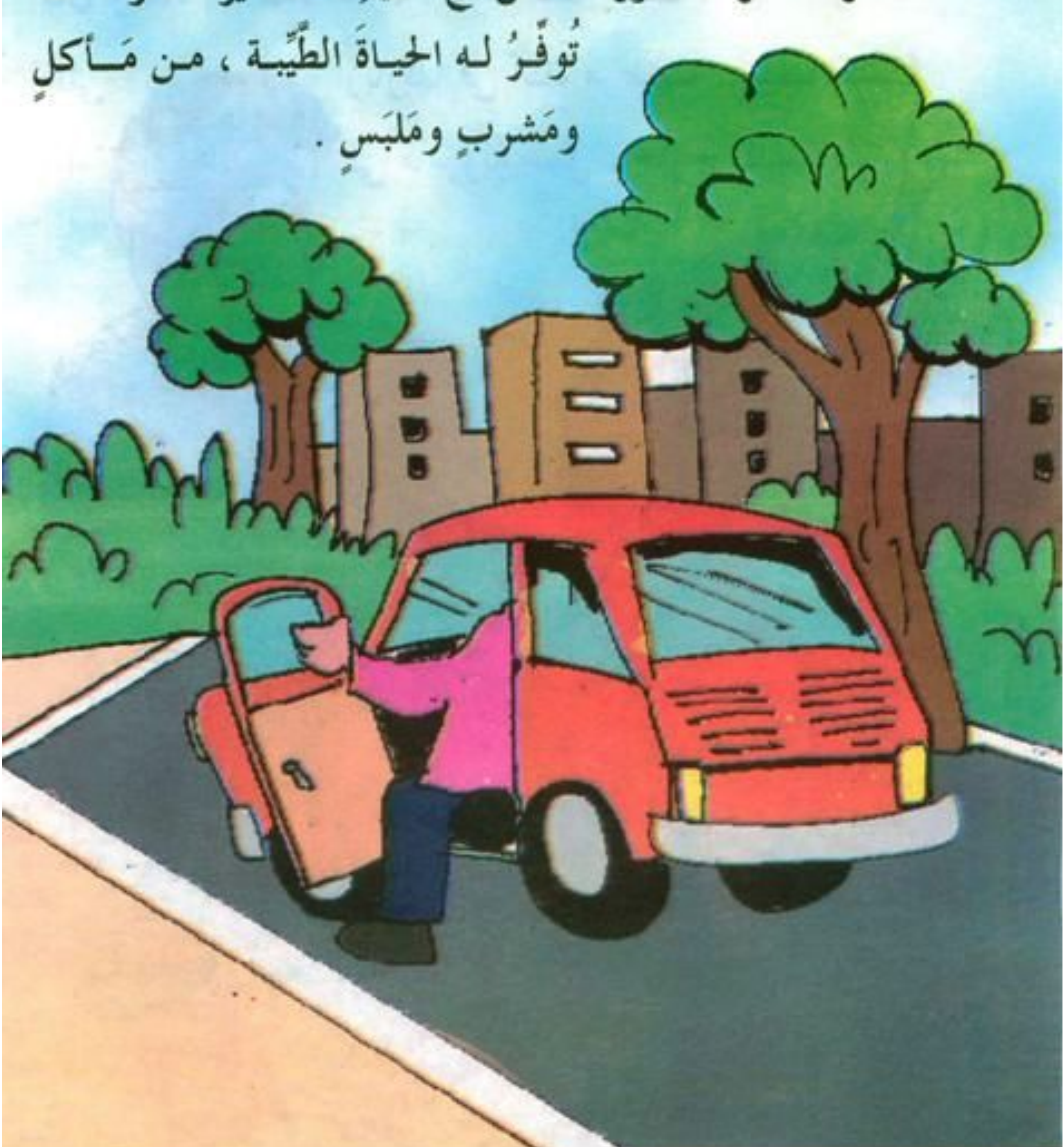
(١) اسْتَيقظَ شَرِيفٌ فى صَباح يَومٍ إجازَتِه ، وأسْرعَ بارْتِداءِ مَلاَبسِ الخُروج ، ثمَّ ذهبَ إلى والدِهِ ، وكانَ يَجلسِ فى حُجْرتهِ يقرأُ جَرِيدَةَ الصَّباح ، فقال : أَسْتأذِنُكَ يا والِدى فى الذَّهابِ لزِيارَةِ عَمَّتى .



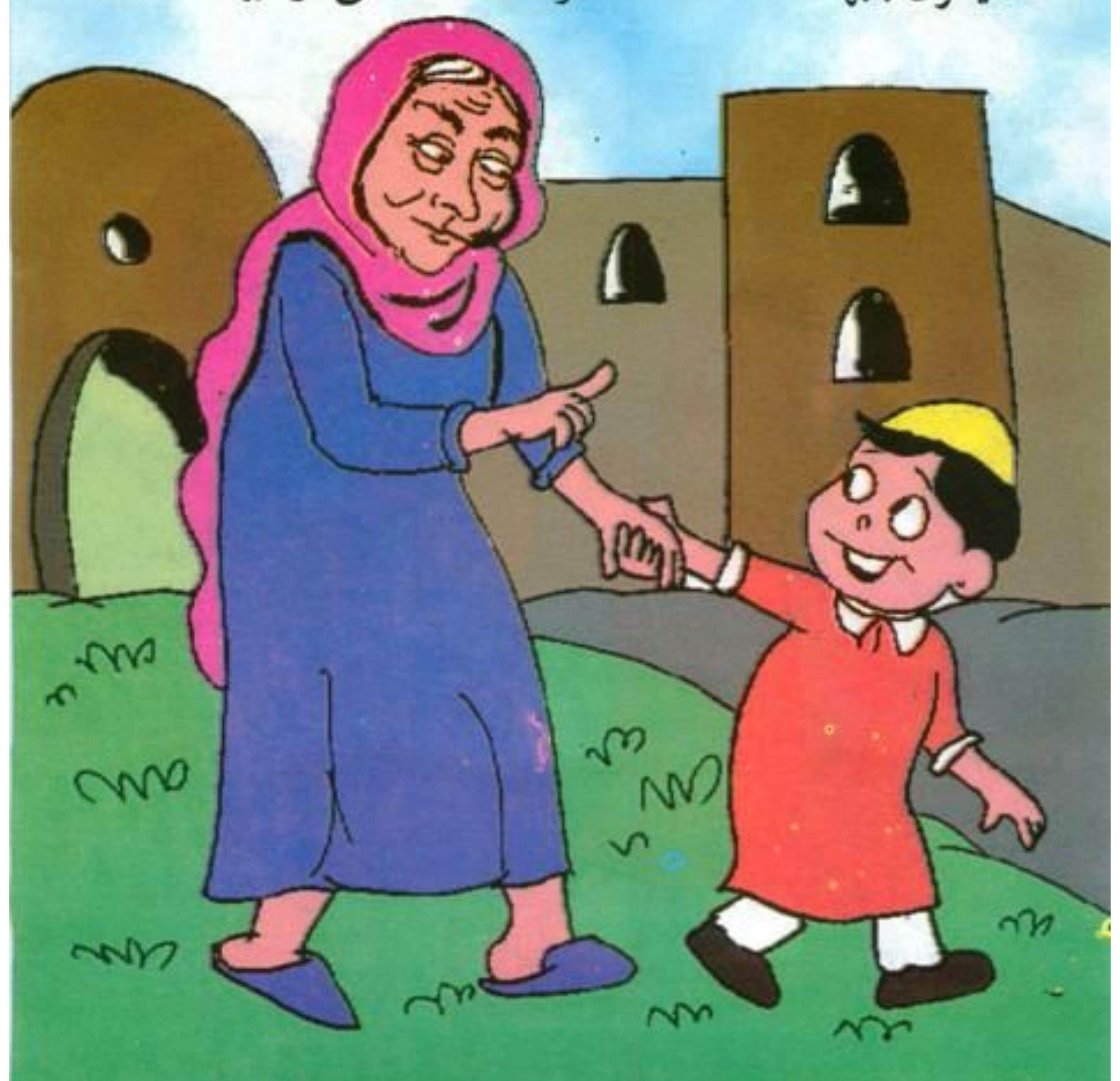
(٢) قالَ والِدُهُ وهو يَنهَضُ من مَقعَدِه : خذني مَعكَ لأطَمئنَّ على صِحَّتِها . . قالَ شَريف في سُرور : اطْمئنَّ يا والِدِي ، فقد تَحسَّنتْ صِحَّتُها ، وذهبَ عَنها المرَض . قال والِدُه : أحَمدُ الله . . باركَ اللَّهُ فيك ، فقدْ داوَمتَ على زِيارتِها في أثناءِ مَرضِها ، بينَما كنتُ أنا في مَأموريَّةِ عَمل ، خارِجَ المَدينة .



(٣) قالَ شَريف ، وهو يَستقِلُّ السَّيارَةَ مع والِدِه : لقـدْ حثَّنـا الرَّسولُ صلىَّ اللَّهُ عليه وسلَّم ، علـى زِيـارَة المَريـض . قـالَ والِدُه : اسمَعْ مِنّى إذنْ هذه القِصَّةَ الصَّغيرَة . كانَ فى مَدينَةِ سَمرْقَند امرَأةٌ عَجوز ، تَعيشُ مع حَفيدِها الصَّغير . . وكانتْ تُوفِّرُ لـه الحيـاةَ الطَّيِّبـة ، مـن مَـأكلٍ ومَشربٍ ومَلبَسٍ .



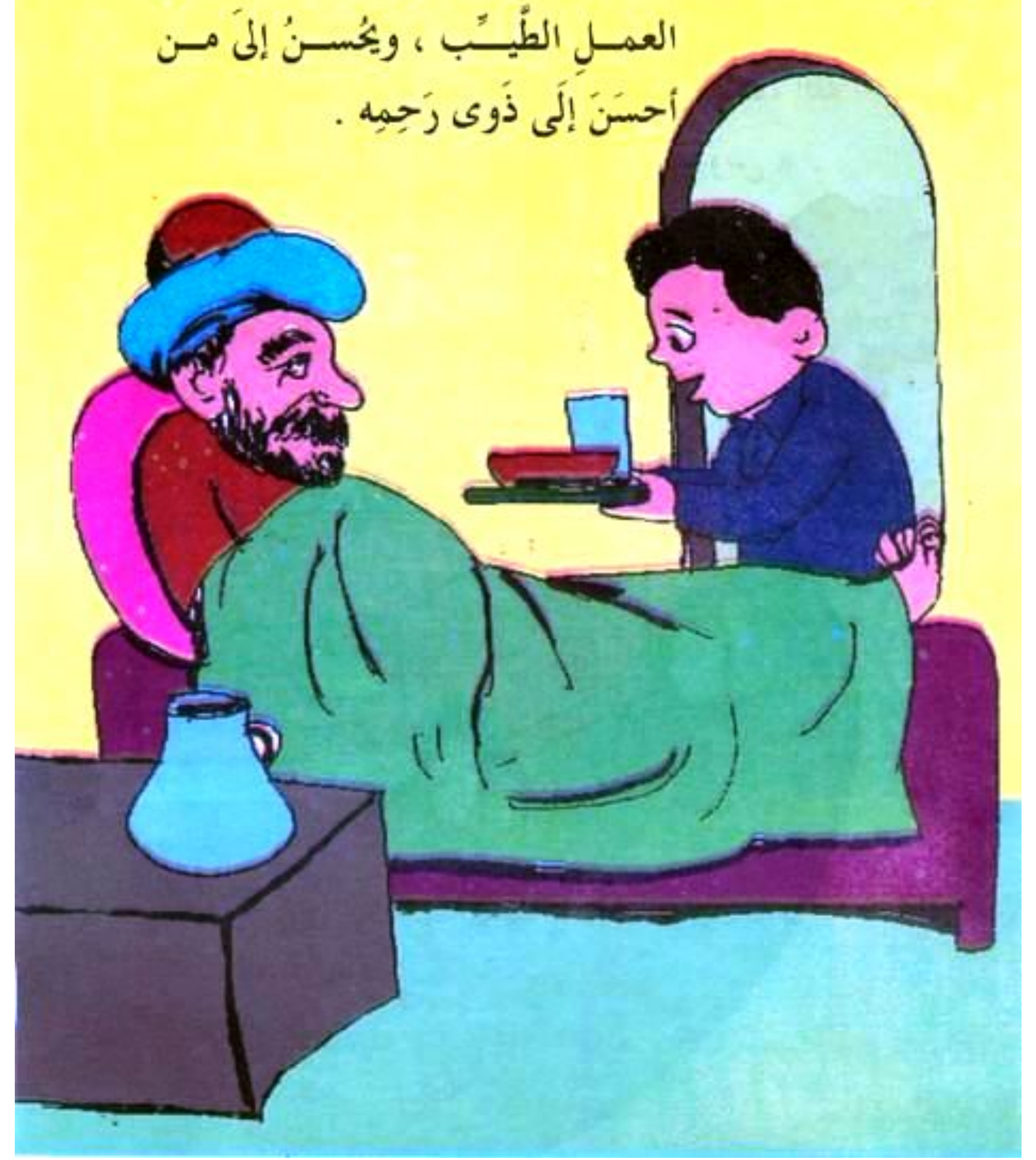
(٤) وكانَ الحفيدُ يُحبُّ جَدَّتَهُ من أعْماقِ قَلبِه ، وقد تعلَّمَ منها كلَّ شيءٍ طَيِّب . . فتعلَّمَ الصَّبر ، فقد كانتْ سَيِّدَةً هادئةَ الطِّباع ، لا تَغضَبُ ولا تنفَعِل ، إذا فعلَ أحدٌ من جيرانِها شَيْئًا يُؤذيها . . وكانتْ تُحسنُ إلى النّاس ، ولا تَرُدُّ سائلاً يَطرُقُ بابَها . . كما كانَتْ تؤدّى الصَّلاةَ فى أوْقاتِها .



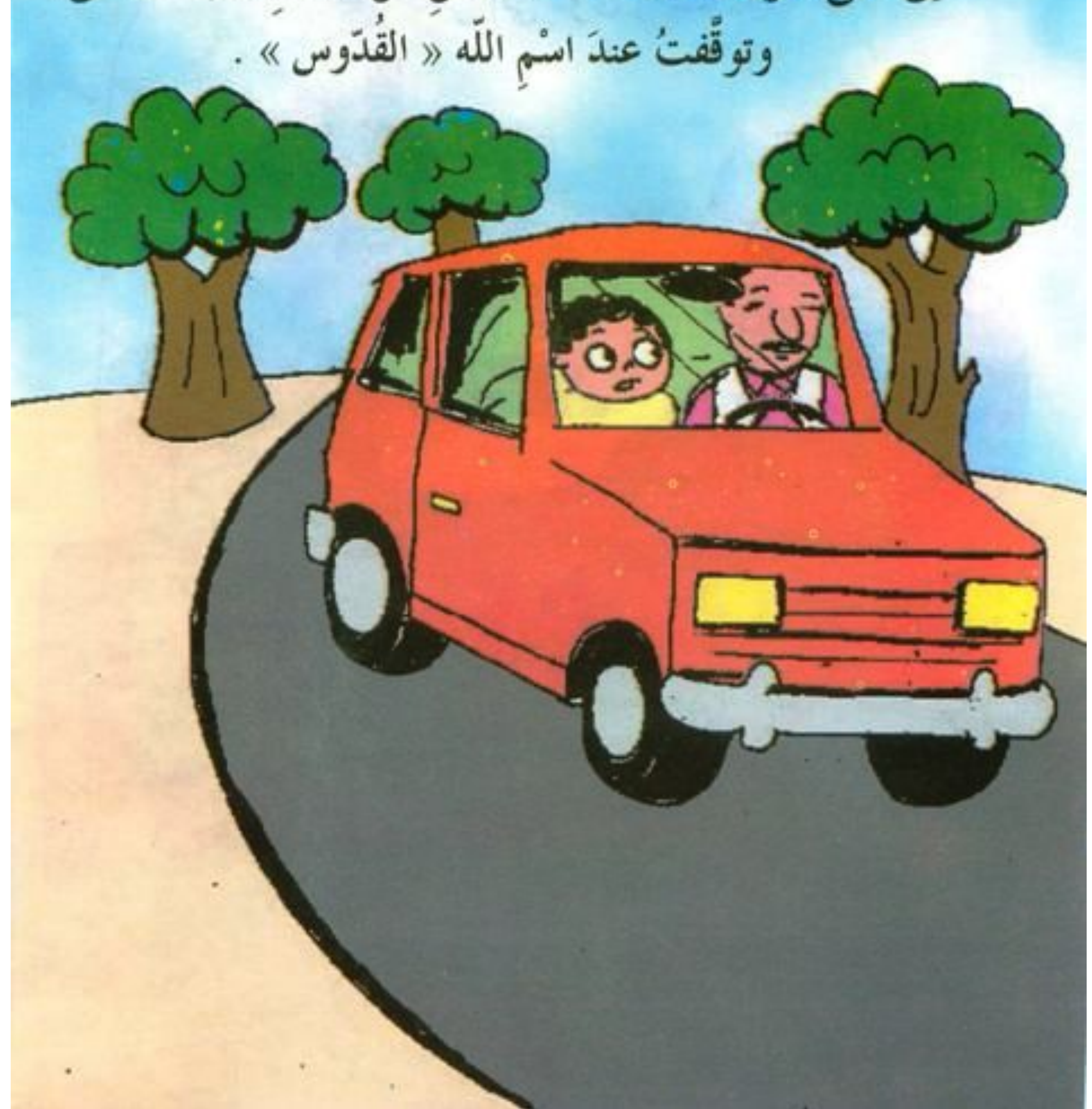
(٥) وذاتَ يَومٍ مَرِضتْ المرأةُ العَجوز ، وكانتْ بحاجَـةٍ إلَـى من يناوِلُها الدَّواءَ والطَّعامَ والشَّراب ، فقـامَ الحفيـدُ بهـذا العَملِ كلّـهِ خيرَ قيامٍ ، وكُلّما قـدَّمَ شَيئًا لجدَّتِـه ، ابتَسَمَ ابْتِسامةً تَدلُّ علَى سُرورِهِ بما يَفعَل ، فكانَتْ الجَدَّةُ تَدعو لـه بالخير .



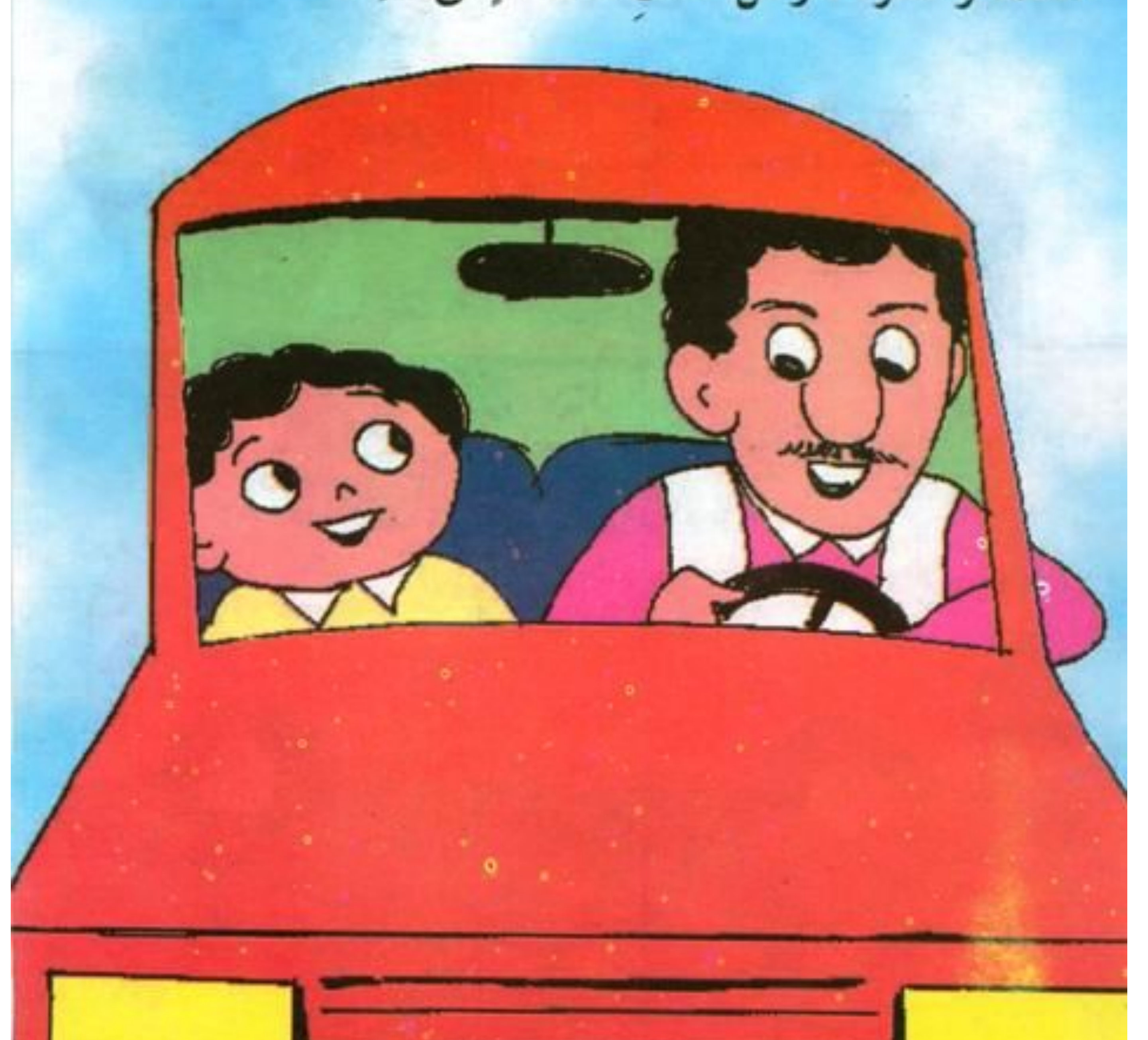
(٦) فلما تُوفِّيت الجدَّة ، وكبِرَ الصَّغيرُ وأصْبحَ شَيْخًا كبيرا ، مَرِضَ مَرضًا أقعَدَه ، فإذا بـهِ يَجدُ من يَرعاهُ في مَرضِه ، فَتَذكَّرَ عندئذ أنَّ اللّهَ سُبحانَه وتَعالى ، يَجزى الإنسانَ على العملِ الطَّيِّب ، ويُحسنُ إلى من أحسَنَ إلَى ذَوى رَحِمِه .



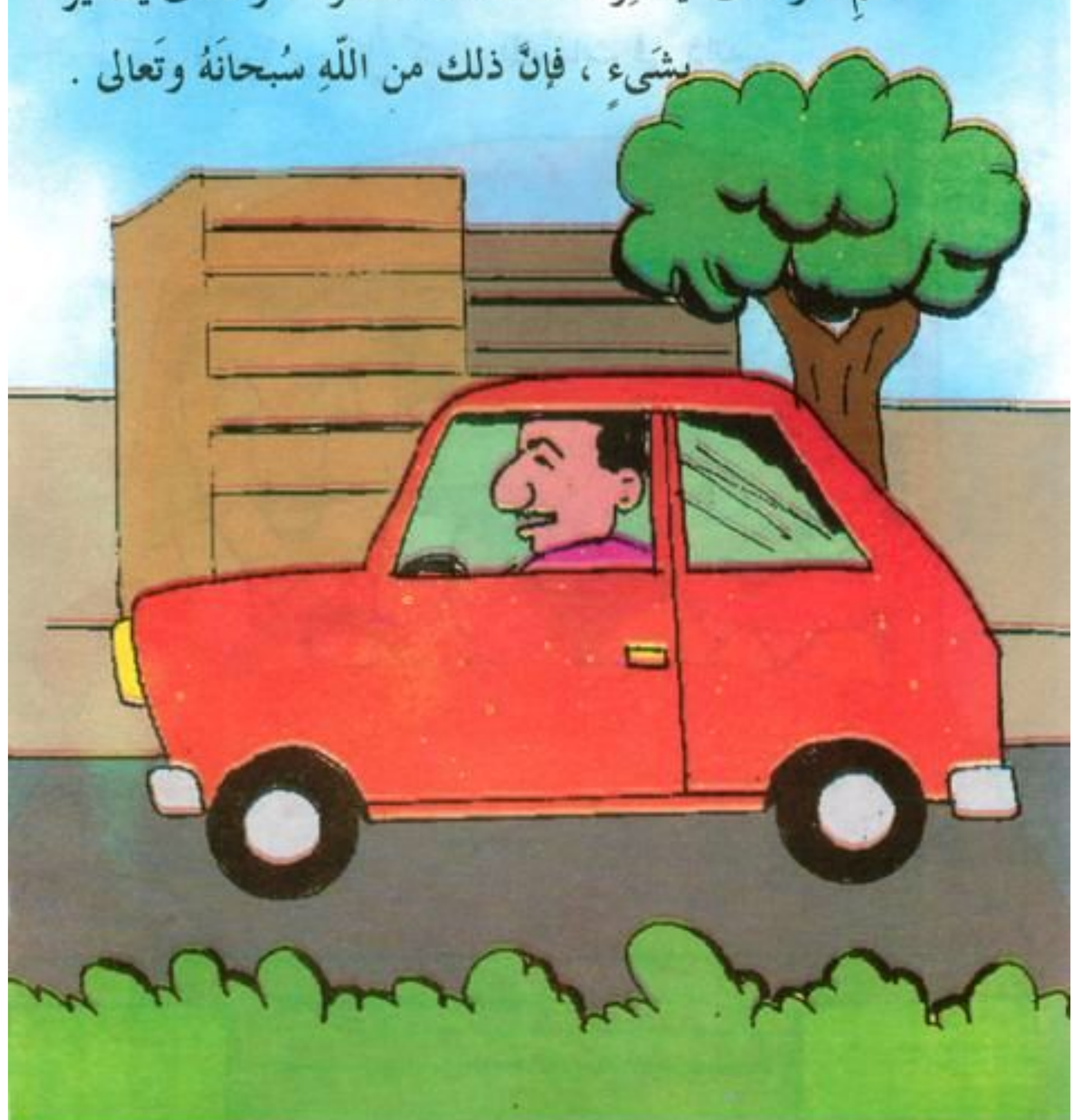
(٧) قال شَرِيفٌ فى سُرور : لو أنَّ كُلَّ إنْسانٍ أطاعَ اللّهَ ورَسولَه ، لَنالَ يا والِدى خيرَى الدُّنيا والآخرَة . . قالَ والِدُهُ مُبتَسِمًا : بارَكَ اللّه فيكَ يا بُنَىَّ .. قالَ شَرِيف : هل تَعلمُ يا والِدِى ، أنَّ حصَّةَ الدّين بالمَدرَسة ، من أحبِّ الحصَصِ إلى قَلبى؟! وقد كُنَّا نتحدَّثُ بالأمسِ عن أسْماءِ اللّهِ الحُسْنى، وتوقَّفتُ عندَ اسْمِ اللّه « القُدّوس » .



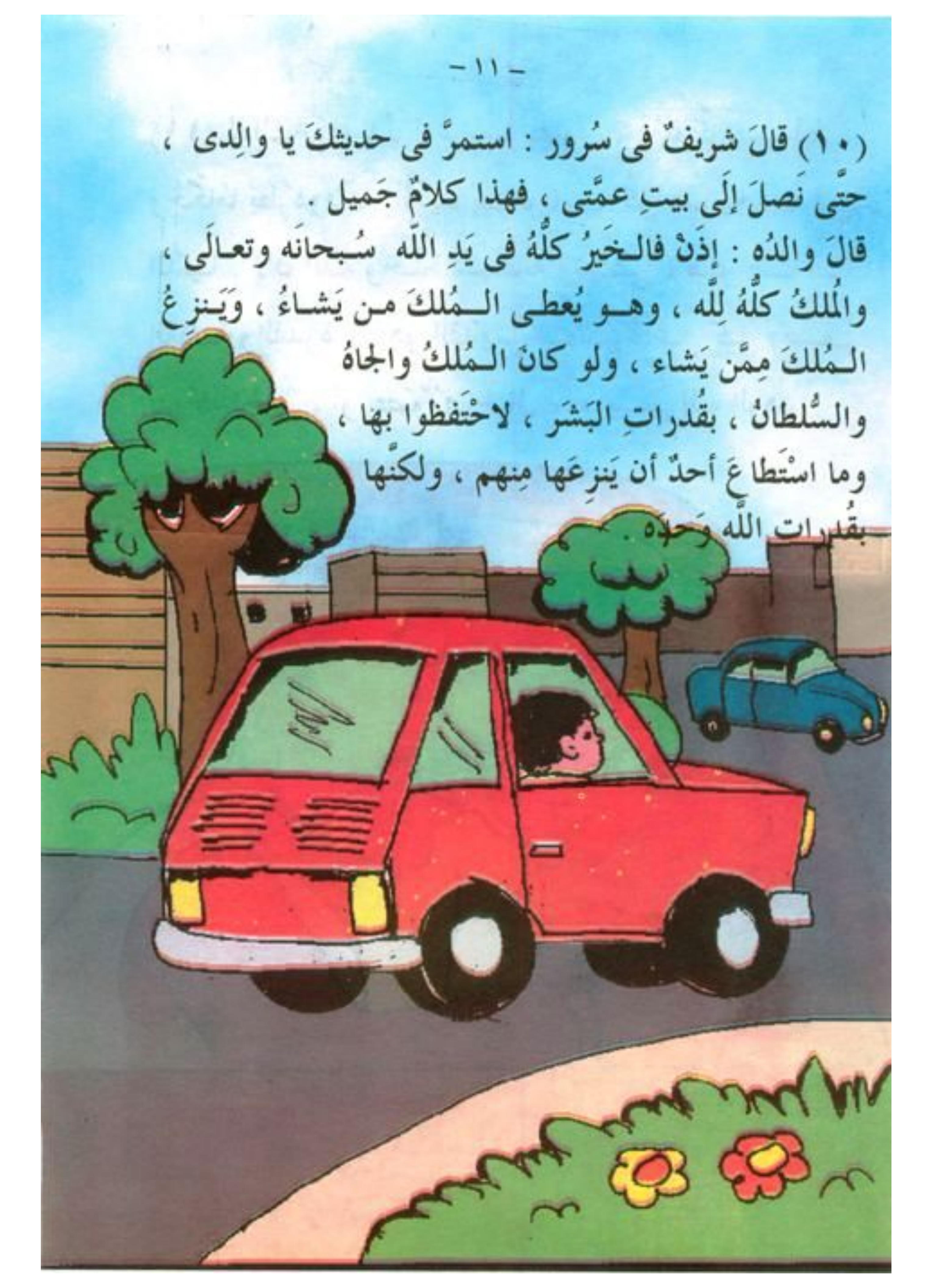
(٨) قالَ والِدُه : ولِـمَ توقَّفتَ عندَ هذا الاسْم ؟ قالَ شريف : أردتُ من الـمُدرِّسِ أن يَشرَحَه ، ولكنَّ الحِصَّةَ انْتَهـتْ قبلَ أَنْ أسْأَلَه . قال والدُه : القُدّوسُ هو الـمُتَنَزِّهُ عن كلِّ وصفٍ من أوصافِ النَّقص ، فاللّهُ سُبحانَهُ وتَعالى ، له العَظمَةُ والقُدرة ، وكلُّ كَمالِ الصِّفاتِ في ذاتِه .



(٩) واللّـهُ سُـبحانَه وتَعـالَى ، هـو العَظِيـمُ وحـدَه . . فكـلُّ عَظيمٍ فى هذهِ الدُّنيا ، يأخذُ عظمتَهُ منَ اللّه سُبحانَه وتَعـالى ، فالَّذى يَملِكُ أعطاهُ اللّهُ الـمُلك ، والَّذى يَحكُمُ أَعطاهُ اللّهُ الحُكمِ ، والَّذى يَقـدِرُ أعْطـاهُ اللّـهُ القُـدرَة ، والَّـذى يتمـيَّزُ بشَىءٍ ، فإنَّ ذلك من اللّهِ سُبحانَهُ وتعالى .



(١٠) قالَ شريفٌ فى سُرور : استمرَّ فى حديثكَ يا والِدى ، حتَّى نَصلَ إلَى بيتِ عمَّتى ، فهذا كلامٌ جَميل .
قالَ والدُه : إذَنْ فالخَيرُ كلُّهُ فى يَدِ اللّه سُبحانَه وتعالَى ، والمُلكُ كلُّهُ لِلَّه ، وهو يُعطى المُلكَ من يَشاءُ ، ويَنزِعُ المُلكَ مِمَّن يَشاء ، ولو كانَ المُلكُ والجاهُ والسُّلطانُ ، بقُدراتِ البَشَر ، لاحْتَفظوا بها ، وما استَطاعَ أحدٌ أن يَنزِعَها مِنهم ، ولكنَّها بقُدراتِ اللّه وَحدَه .



(١١) لذلِكَ نَرَى يا بُنَيَّ عُروشًا تتهاوى ، ومُلوكًا تَتَساقَط ، وحُكّامًا يُطرَدون ، وأقْوياءَ يُهزَمون . . كُلُّ هذا يَحدثُ فى الدُّنيا ، لأنَّ اللَّهَ وحدَهُ سُبحانَه وتَعالَى ، هو صاحِبُ العَظَمَةِ والقُدرَة . . هو القُدّوسُ المُنَزَّهُ عن كلِّ وَصفٍ يُدرِكُهُ الحِسّ ، أو يتصَوَّرُه الخَيال ، أو يَسبِقُ إليه الوهم .

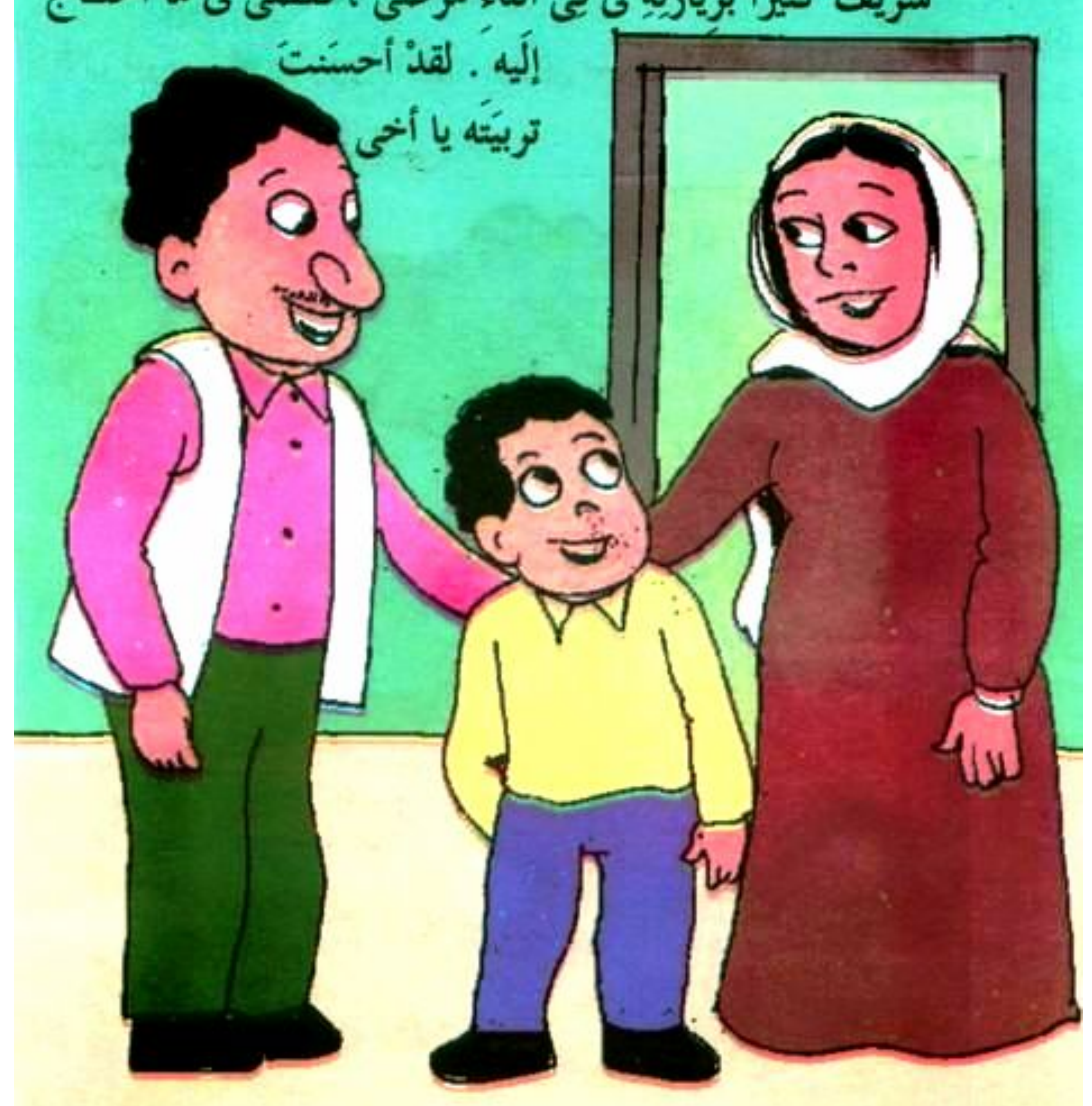


(١٢) قالَ شريفٌ فَجاة : انتظرْ يا أبى ، فإنَّ حَلاوَةَ الحَديثِ جَعلتْنا نَسهو . . فقدْ تَركنا بيْتَ عمَّتى منذُ لَحَظات . قال والِدُه : حقًّا ، فلنعُدْ إلى الخَلف ، وأرجو أن أكونَ قد وُفِّقتُ فى الحَديثِ عن اسمِ القُدّوس .

قالَ شريف فى سُرور : نعمْ ، ولَكِن سَيكونُ للحديثِ بَقيَّة ، عن أسْماء اللّهِ الحُسْنَى.



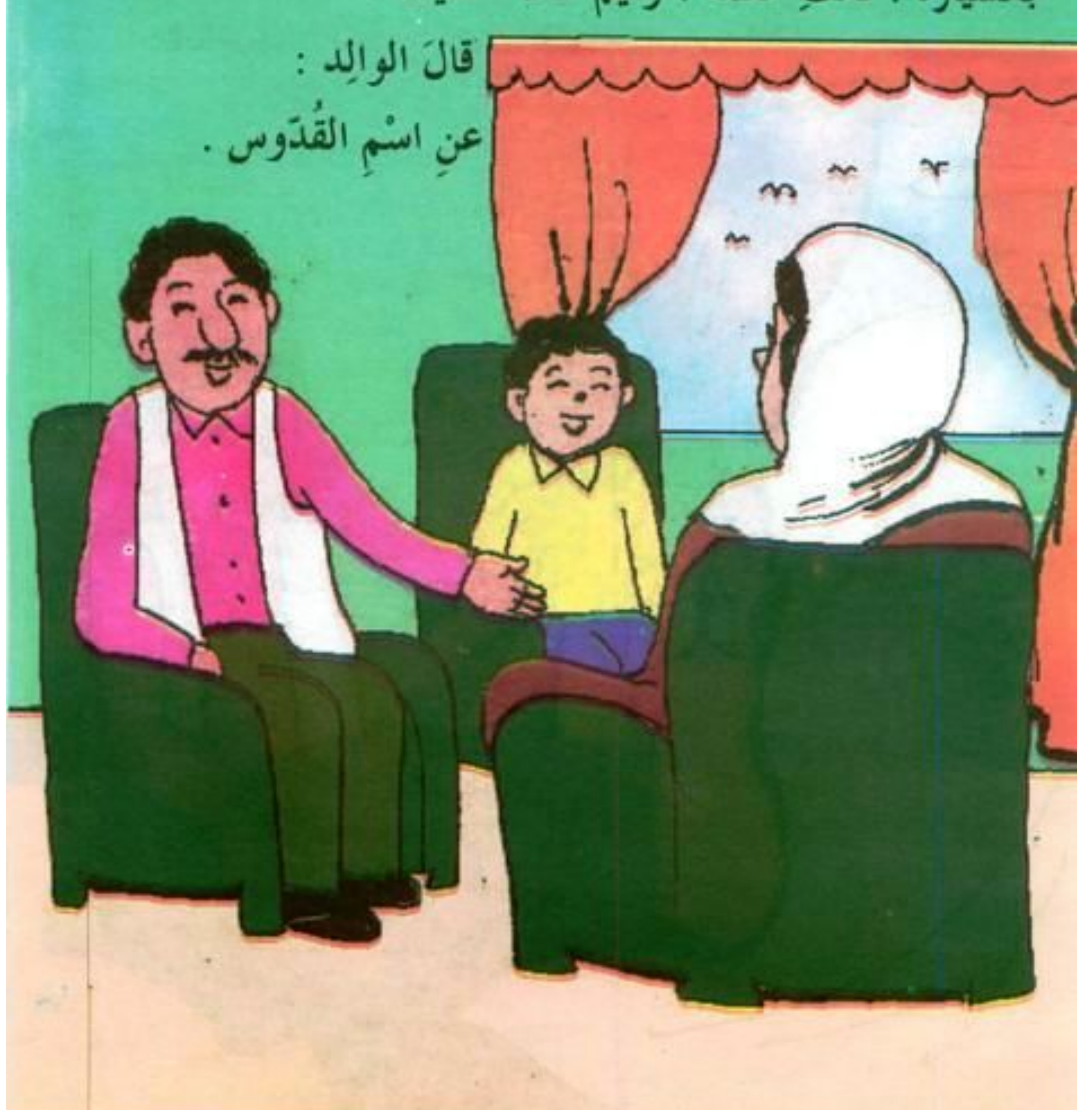
(١٣) أسرعَ شريف يطرقُ بابَ البيت ، ففتحتْ العَمَّة ، ورأتْ شَريفًا ووالِدَه ، فرحَّبتْ بهما في سُرور . . فقالَ الوالدُ : الحمدُ لِلَّه ، أراكِ بصحَّةٍ وعافِيَة ، قالَتِ العَمَّة : شُكرًا لِلَّه ، إنَّنِي أحْسنُ حالاً من ذي قبل ، وقدْ أفادني شريفٌ كثيرًا بزيارَتِهِ لي في أثناء مَرَضي ، فقضَى لي ما أحْتاجُ إلَيه . لقدْ أحسَنتَ تربيَتَه يا أخي



(١٤) قالَ الوالِد : الحمدُ والشُّكرُ لِلّه . . إنَّنى سعيدٌ به ، فهو دائمُ القراءَةِ لِلقُرآنِ الكَريم ، ويُحافِظُ علَى الصَّلاة . . كما أنَّه دائمًا ما يسألُ فى أُمورِ الدّين ، وكثيرًا ما يَجعَلُنى أجلِسُ مَعه لأجيبَ عن أسئلَته . وكان آخرُ أحاديثِنا ونحنُ بالسَّيارَة . قالتِ العَمة : وفيمَ كانَ الحَديث ؟

قالَ الوالِد :

عنِ اسْمِ القُدّوس .



قالت الخالة : ما أجمل أن يكون الحديث عن الله وأسماء الله .

قال الابن : لقد تحدثنا يا خالتى عن اسم القدوس حتى كدنا نبتعد عن مكان البيت .

قال الوالد : حقا إنه حديث شائق .

قالت الخالة فى سرور : وأنا يسعدنى أن أحدثك عن أسماء اللّه كلما أحببت .

قال شريف : حسنا هذه دعوة رائعة نؤجلها إلى الزيارة القادمة يا خالتي .

